نقل وتلقي السيمياء السردية الغريماسية
رشيد بن مالك أنموذجا

طالب الدكتوراه: لعجال لكحل
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة/ الجزائر

توطئة:

السيميائية ومدرسة باريس بالذات، هي أقرب إلى العلامة اللغوية والخطاب السردي عموما. ويعد غريماس قائد الدرس السيميائي بما أحدثه من ارتجاج في النظرية السردية. وهذه محاولة استكشاف؛ بداية من تصورات الشكلاني الروسي فلاديمير بروب، مرورا بأهم إنجازات مدرسة باريس، وتمثلات ذلك في العالم العربي؛ الناقد رشيد بن مالك أنموذجا، تأصيلا وترجمة وممارسة.

سجال وتفاعل مورفولوجية فلاديمير بروب

لقد كان للشكلانيين الروس الفضل في إرساء أدبية الأدب متجنبين المقاربات السياقية « و يكاد يجمع الدارسون على أن كل دراسة تتخذ الخطاب السردي موضوعا لها، لابد أن تنطلق من تحليل فلاديمير بروب لمورفولوجية الحكاية الخرافية الروسية »[1] وتعتبر هذه الدراسة في نظر هؤلاء أساسا في علم القص أو التحليل السردي للخطاب إذ لا يمكن إغفال الشخصية الحكائية عند بروب في كتابه (مورفولوجية الحكاية الخرافية الروسية) حيث استخرج إحدى و ثلاثين وظيفة تشمل كل أفعال شخصيات الحكاية الخرافية، هذه الأفعال التي في نظره لا تخرج عن سبع دوائر[2] وقد حاول إتيان سوريو إسقاط هذه الدراسة على الشخصيات المسرحية مقدما تصوره في ست دوائر:

الأسد: القوة التيمية الموجهة – الشمس: تمثل الخير المنشود للهيمنة الموجهة

الأرض: المستفيد المحتمل من هذا الخير (المحفل الذي يعمل الأسد لصالحه)

المريخ: المعيق

الميزان: الحكم، واهب الخير -القمر: الهجوم الجديد مضاعفة إحدى القدرات السابقة[3]

وفي الجدول التالي مقارنة وتبيان هذه الدوائر:

دوائر فلاديمير بروب (1895 -1970)	دوائر إتيان سوريو (1892- 1979)
فعل□ البطل	الأسد □ البطل
فعل □ الشرير	المريخ □ البطل المضاد
فعل □ المرسل	الشمس □ الموضوع
فعل □المساعد	الميزان □ المرسل
فعل□الشخصية المرغوبة	الأرض □ المستفيد
فعل □البطل المزيف	القمر □ المساعد
فعل □ المانح	

وعلى الرغم من هذا السبق الذي أحرزه بروب، إلا أننا نجد أنفسنا أمام حكاية واحدة ثابتة المسار على مستوى البنية السردية، ويمكن أن نذكر اعتراف كلود ليفي شتراوس ونقده لذلك في نفس الوقت، حيث يقول:« قبل مجيء الشكلانيين لم نكن نعرف، بدون شك ما يجمع بين الحكايات، أما بعدهم فلم نعد نعرف أين يكمن الاختلاف بينها».[4] فهو يلاحظ أن مجموعة كبيرة من الأساطير عند الهنود تستند إلى شخصيات بطولية غير بشرية كالنسر والبوم والغراب ... «فالممارسة السلوكية (دينية أخلاقية، خرافة) هي الوجه المرئي لمعتقدات تتخلل الحكايات والأساطير بل هي ما يؤطر مجمل الممارسات الثقافية. لهذا يجب أن نعيد الاعتبار لهذه العناصر التي اعتبرها بروب عرضية وغير مميزة. فهذه العناصر هي سبيلنا نحو معرفة أفضل للأكوان الثقافية الخاصة بالشعوب، وهي ما يميز، في واقع الأمر، هذه الحكاية عن تلك.»[5] وذلك ما يبينه فيليب هامون في كتابه سيميولوجية الشخصيات الروائية «إن البطل ليس مرتبطا بمقولة العامل بقدر ما هو مرتبط بمقولة أخرى (معيق، مستفيد، مرسل ... الخ). فإذا عدنا إلى روايات الفشل في القرن التاسع عشر مثلا، نجد أن

شخصية ما، قد لا تستطيع أبدا أن تتشكل كذات واقعية ولكنها رغم ذلك تعد بطلا.)...»[6] بل قد يكون البطل شخصيات مجازية (الحب، الكراهية، العداوة، ...). «حين نقول بأن الحب عاملا(Actant)، إنما نعني مفهوما للعلاقة يحددها كحركة نسيجية لأكثر من خيط، أو كفاعلية لها أكثر من حركة... ليس لها صفة الواحد، ولا طابع الكتلة الجاهزة أو القيمة الذهنية المجردة».[7] وإذا كان ذلك حال البنيوية فإن السيمائيات تتجاوز هذا المجال إلى دراسة مختلف العلامات، داخل الحقل الاجتماعـي، «فمجموع الإشارات، الملابس، الأسلوب، التصريح ... تقوم بتعيين البطل. فالقصة كنسق يمكنها أن تستغني نهائيا عن البطل وصفاته المميزة».[8]

ويبدي غريماس (1917-1992) انتقاد التتابع الكرونولوجي للمهمات «حتى ولو تعاقبت المهمات الثلاث الواحدة تلو الأخرى على طول الخط الزمني، فإنه لا توجد أية ضرورة منطقية تعلل التحاق المهمة التأهيلية بالمهمة الحاسمة وهذه بالممجدة»،[9] فالمضمون الحكائي قابل للتبديل وكذا الشخصيات. صفاتها، أفعالها، أما الوظائف تبقى ثابتة فالبطل في الحكاية الشعبية هو المستفيد دائما. ولذلك قدم بروب نموذج الشخصية النمطية.

المعتدي (الشرير)	-الواهب
المساعد	- الأميرة (موضوع البحث)
الموكل	- البطل
البطل المزيف	

كما يمكن مقارنة هذا النموذج بنموذج غريماس:

- (الذات / الموضوع)
- (مرسل / مرسل إليه)
- (مساعد/ معين)[10]

فمن هنا ينطلق غريماس مدركا أهمية التصور البروبي قائلا: «إن قيمة النموذج البروبي لا تكمن في عمق التحاليل التي تسنده، ولا في دقة صياغته، وإنما تكمن في قدرته على الاستفزاز وطاقته على إثارة الفرضيات: ذلك أن تجاوز خصوصية الحكاية العجيبة في كل الاتجاهات هو الذي طبع مسيرة السيميائية السردية منذ بدايتها»،[11] وقد استغل هذه

الفكرة ليعمقها ويدخل عيلها تحويرات ويصوغ منها نموذجه العاملي وفق مبدأ التقابل العلائقي في ثلاثة محاور.[12]

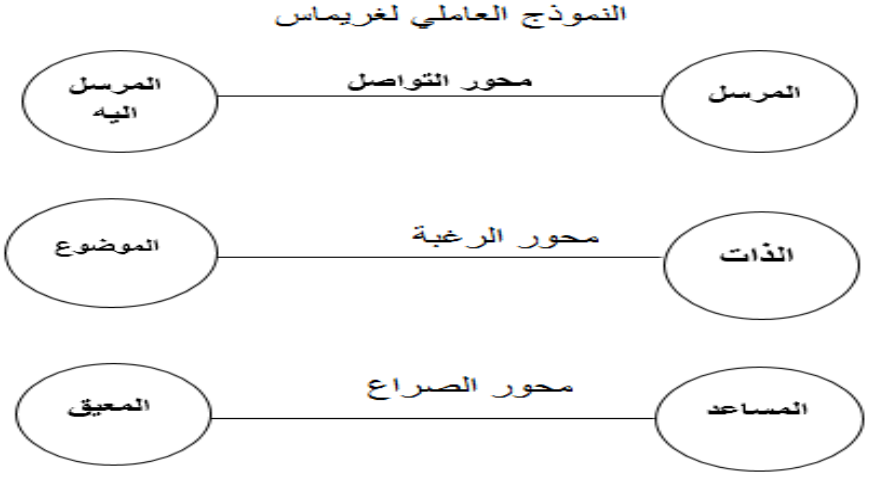

لقد اختزل بروب الكم الكبير من الحكايات والأساطير بعدد محدد من الوظائف، محولا الأفعال والأحداث إلى سيمات وظائفية وفق منهج سيميائي أولا، فاتحا بذلك مجالا واسعا لعلم السرد.

خلفيات نظرية غريماس

تعد السيميائية بكل اتجاهاتها أطروحة دي سوسير، وذلك في تصور اللسانيات عموما للرسالة اللغوية، فهي علامة لغوية مشكلة من (دال، مدلول) والمعمول به منذ 1970 هو إستعمال مصطلح Sémiotique، وقد أدرجت مدرسة باريس ضمن عناوينها، هذه التسمية، كصفة أو اسم وقد ورد تواتر السيميائية في مجلة مركز تحليل الخطاب الديني بفرنسا عنوانه (السيميائية والانجيل).[13]

ويذكر جان كلود كوكي تسمية مادة السيمياء في الدراسات الفرنسية:

- 1970 : Du Sens. Essais Sémiotiques d'A .J Greimas (Le Seuil).
- 1971 : Sémiotique narrative : récrits bibliques, Chabrol et Marin,

Langages, N 22, (Larousse).

- 1972 : Les langages de Jarry. Essai de sémiotique Littéraire de M. Arrivé (Klincksieck).

- 1973 : Sémiotique Littéraire de J.C.Coquet, langages, n 31 (Larousse)[14].

فمدرسة باريس هي السباقة في النظرية و التطبيق و هي الإنجاز الفعلي للسيمياء وقد نهضت على سجال حثيث بين الرواد: دي سوسير، غولدمان، كريستيفا، رولان بارت، تودوروف، غريماس، كورتيس، ميشال آريفي، جون كلود كوكي ... و يجمع الدارسون على أن غريماس هو قائد درس السيميائية السردية بما أحدثه من إرتجاج في السيميائية معتمدا على البنيوية و اللسانيات، منطلقا من تصور بروب و دراسته للخرافة « وقام باستثمار كل ما مر به من علوم اللسان والفكر والفلسفة و من تنظير بنيوية الجملة .فخرج بمفهوم المستوى العميق (Abstract Le Vel) والمستوى المحايث (Immanence Le Vel) والتركيب العاملي (Actantiel syntaxe) و التركيب السردي (Narrative syntaxe)، و البنية التركيبة والتشاكل والتناقض، مستثمرا كل ذلك في ما يدعى بـ: المربع السيميائي(Semiotic quarre) »[15]

وقدم مجموعة من الدراسات النظرية والمصطلحية منها: (البنيوية الدلالية)، (في المعنى)، (العوامل والقائمون بفعل والصور)، (الموضوعات ذات القيمة) وشفع ذلك بتطبيقات منها:

(دراسة نص لديميزيل)، (صديقان)[16] تلك الدراسات النظرية الحيثية تلتزم بنسق النص فهي مضمون المبادئ البنيوية التي رسخها لويس يلمسليف (1895-1965) رائد المدرسة الدنماركية في تبيان العلاقات الأفقية والعمودية وربط الجوهر بالشكل أو المحتوى والشكل ومن هنا استلهم غريماس الدراسة في مستويين[17]:

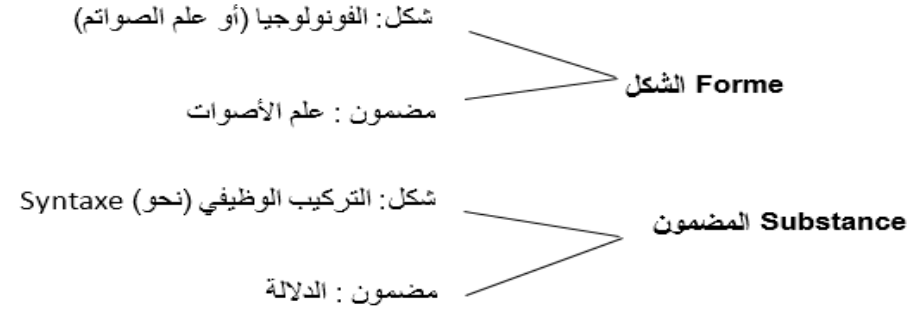

ويرى غريماس ضرورة استفادة العلوم الإنسانية منهجيا من ثنائية سوسير: (لسان، كلام)، (دال، مدلول) واستفاد إجرائيا من تقابل بين علاقتين (التناقض، التضاد)، (الحضور، الغياب) من رومان جاكوبسن.(18)

وهكذا نصل في النهاية إلى أن الأفكار الأساسية عند دي سوسير تضمنتها نظرية يلمسليف، هذا على الرغم من أنها خالفته في تحرير البحث اللغوي من علم الاجتماع، وحصرته في مجال علم الرموز أو في إطار علم السيميولوجيا، ولذا يمكن القول إن هذه النظرية تمثل البنيوية الشكلية الأوروبية.(19)

نظرية غريماس الأهمية والإجراء

تكمن أهمية نظرية غريماس وتميزها بعد إثرائها وتلاحقها عما سبقها في:

1. امتصاصها لكثير من العلوم واستثمار نتائجها.
2. أضحت منهجا يكتسب هيئة جديدة يختلف عن المناهج السابقة.
3. التفاعل مع النظريات الأخرى أكسبها دينامية وحرية.
4. شموليتها لكل الأنساق الدلالية.
5. شموليتها لكل اللغات.
6. تقدم مجموعة فرضيات قابلة للتطور والتوسع لتكون ملائمة لتأويل النصوص والخطابات المختلفة.(20)

بعد استعراض خلفيات وأهمية هذه النظرية نركز فيما يأتي على أهم ما جاءت به وتلقيها في مجال التحليل السردي، حيث تنتظم الدراسة عند غريماس في مستويين كما يرد

عند محمد ناصر العجيمي في كتابه في الخطاب السردي نظرية قريماس:

المستوى السطحي:

يتشعب بدوره إلى مكونين:

- مكون سردي: ويقوم أساسا على تتبع سلسلة التغيرات الطارئة على حالة الفواعل.

- ومكون تصويري أو بياني ومجاله استخراج الأنظمة الصورية المبثوثة على نسيج النص ومساحته.

المستوى العميق:

ويختص بدراسة البنية العميقة استنادا إلى نظام المعنوية الصغرى،[21] ويتناول غريماس[22]:

في المستوى السطحي:

دراسة جملة من المفاهيم والمصطلحات: السردية (La narrative)، الملفوظ السردي (Enoncé narratif)، المقطوعة السردية (Séquence narratif)، البرنامج السردي (programme narratif) والبنية العاملية (structure actantielle)، التي تعتبر من أهم عناصر البنية السطحية فهي« تفترض وجود رسالة ما وهذه الرسالة تتطلب وجود مرسل ومرسل إليه بقدر ما تتطلب ذات وموضوعا».[23] أما الرسم السردي فهو ينظم الملفوظات وبنبني على أربعة أطوار مرتبطة فيما بينها ارتباطا منطقيا: التحريك، الكفاءة، الأداء، التقييم.

والجدول التالي يلخص ذلك.[24]

التحريك	الكفاءة	الأداء	التقييم
فعل الفعل	كينونة الفعل	فعل الكينونة	كينونية الكينونة
- مرسل - فاعل	- فاعل - شروط الفعل	- فاعل منفذ - تحويل (فاعل حالة، موضوع قيمة)	- مرسل (إيبيستيمي) - فاعل منفذ
«إقناع»	«امتلاك الكفاءة»	«فعل التحويل»	«تقويم»

في المستوى في المستوي العميق:

البنية الدلالية:

لها وظيفة خلافية وتقابليه فإذا قلنا إن البنية نظام من العلاقات فإن الدلالة يمكن أن تنشأ إلا على أساس الفوارق... إقامة الانقطاعات وتعيين الإنزياحات التباينية. من هنا، لا يكون هناك " علو" إلا بالنسبة وبالتباين مع" أسفل"، ولا يكون هناك" كبير" إلا بالنسبة وبالتباين مع "صغير"، ولا يكون هناك "عمودي" إلا بالنسبة ولـ "أفقي" ولا يكون هناك "مذكر " إلا بالنسبة لــ" مؤنث"[25] فالمعنى يكسب دلالته من الخلاف والتقارب، الحضور والغياب ...

المربع السيميائي:

يفهم المربع السيميائي باعتباره تجسيدا شكليا لإجاليي دلالات النص، وحصيلة نهائية للتحليل السيميائي على أنه تأليف تقابلي لمجموعة من القيم المضمونية ولذليك ألفنا غريماس يعتبره تمثيلا مرئيا لعملية التمفصل المنطقي لمقولة دلالية ما.[26] ورشيد بن مالك في كتابه مقدمة في السيميائية السردية يبين الخصائص الشكلية للمربع السيميائي قائلا: «يمكن أن نصوغ المربع السيميائي في الشكل الآتي:

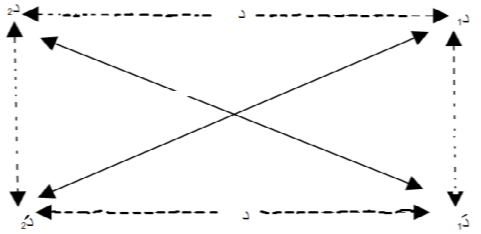

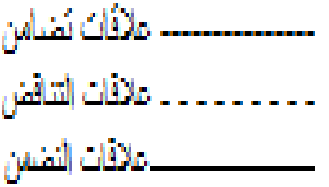

الخصائص الشكلية للمربع السيميائي ينظم المربع السيميائي علاقات متنوعة تتوزع على النحو الآتي:

العلاقات التدرجية:

تقوم العلاقة الأولى بين د1، د2 و د، و تشتمل الثانية:

العلاقات المقولاتية:

علاقات التناقض: تقوم العلاقة الأولى بين د و د' و على المستوى الأدنى من الناحية التدرجية، تقوم علاقة ثابتة بين د1 و د1' و بين د2 و د2'. ومن الواضح أن عملية النفي (Opération de négative)هي التي تحقق الانتقال من د' إلى د'1 ومن د2 إلى د'2، تبني أساسا على الاختيار بين واحد من العنصرين.

علاقات التضمن: تربط د'1 بـ د2 و د'2 بـ د1، و تتولد بشكل طبيعي من عملية النفي السابقة. يتضمن نفي د'1 تثبيت د2 ».[27] بهذه المفاهيم والتصورات الغريماسية اقتحمت السيميائية عالم السرد عامة، والقصص والروايات خاصة « وكان استقبال السيمياء في الثقافة العربية استقبالا محفوفا بالمنزلقات التي تفرضها طبيعة الاستقبال من خلال الترجمة فانعكست النتيجة على عناصر مهمة حملت هذا المنهج، ودعمت وجوده وهي: المصطلح والمفهوم، والإجراء. وشكل حضور السيميائية الباريسية، وتبلور أدواتها النقدية محطة رئيسة في استقبال السيمياء وتحولها لإجراء تطبيقي».[28] وقد أحصت الدراسات النقدية اتجاهات ثلاثة. اتجاه يرى أن السيميائية دراسة لأنظمة الاتصال عامة واتجاه حاول أن يوفق بين الرمز اللغوي وغير اللغوي باعتبارهما يتكاملان مع اللسانيات واتجاه آخر يرى أن السيميائية هي دراسة الأنظمة الدالة من خلال الظواهر الاجتماعية والثقافية الملابسة للنص من منظور أنها جزء من اللسانيات وهذا الاتجاه مثله: رولان بارت، جيرو، غريماس، جوزيف كورتيس، محمد عزام، ورشيد بن مالك.[29]

نقل وتلقي السيميائية رشيد بن مالك أنموذجا

وفد النقد السيميائي- مدرسة باريس- إلى العالم العربي بالترجمة أو عن طريق البعثات الطلابية أو الأكاديميين. ويبدو رشيد بن مالك من هؤلاء الذين لهم استراتيجية نقدية مركزة، في نقل المعرفة السيميائية ترجمة للمفاهيم و المصطلحات و ممارسة على نصوص سردية عربية وفق نظرية غريماس ويمكننا أن نعد رشيد بن مالك في طليعة النقاد الجزائريين الذين عنوا بالنقد السيميائي، فقد تناول في دراسته للحصول على شهادة الدكتوراه موضوع السيميائية بين النظرية والتطبيق وجاءت عنايته بسيميائية السرد في وقت مبكر إذ ألف كتاب، (مقدمة في السيميائية السردية) و فيه يعرض الأصول اللسانية و الشكلية للمنهج

السيميائي كما زود المكتبة بمجموعة من المدونات منها:

- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص 2000.
- البنية السردية في النظرية السيميائية 2001.
- السيميائية الأصول، القواعد والتاريخ 2002 (ترجمة لمجموعة من رواد مدرسة باريس آن إينو، ميشال آريفيه، لوي بانييه، جان كلود كوكي، جان كلود جيرو، جوزيف كورتيس).
- السيميائية مدرسة باريس 2003 (ترجمة لجان كلود كوكي)
- تاريخ السيميائية 2004 (ترجمة لآن إينو)
- السيميائيات السردية 2006.
- من المجمعيات إلى السيميائيات 2013.

وسنحاول عرض مجهوداته فيما يأتي:

أولا: التأصيل والترجمة

- التأصيل للمصطلح:

1-1- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص

قناعة عند رشيد بن مالك بأن المصطلح مفتاح أي مبحث علمي والحاجة الماسة أمام طلابه والفراغ الرهيب في تداول المصطلحات. جاءت فكرة هذا القاموس منذ 1983 ليكون محل تجربة وممارسة ومزاوجة بين النظري والتطبيق، ليخرج إلى الوجود طباعة سنة 2000 «فهو كتاب يتناول المصطلحات السيمائية السردية التي تعتمد في تحليل النصوص الإبداعية، فكان لهذا الأثر الإبداعي أهميته البالغة (والمتمثلة في وحدة الموضوع الذي يعالجه وهو مصطلحات المادة السيميائية بطريقة علمية يسهل على القارئ العربي فهمها والاستعانة بها) ... فكان هذا المؤلف خطوة جادة ومضافة لجهود الناقد في ساحة المصطلح السيميائي العربي».[30] «ويتضمن من الترسيمات (Schémas) والأشكال ما يجعله متميزا فهو معجم جامع في حقله، يمثل حلقة في سلسلة المعاجم المتخصصة عموما وفي معالجة السيميائيات السردية خصوصا»[31] وبما أن القاموس يعد محصلة طبيعية لتجارب عديدة من البحث المتواصل فمن الأحسن أن يعتمد الترتيب الألفبائية العربية ما دمنا في حاجة لنقل المصطلحات

إلى العربية مثل ملحق الأعلام في آخر القاموس. ويلاحظ سحنين على أن الناقد رشيد بن مالك قد اكتفى بتعريب بعض المصطلحات مثل: موتيف (Motif)، سيم (Sème)، تيم (Thème)... ورشيد بن مالك نفسه يدرك هذه الفجوة المصطلحية «لا زلنا ضائعين في متاهات المصطلح، كل باحث يترجم حسب ما يحلو له»[32] وأقول إن ذلك يتجاوز المجهودات الفردية ذات الإمكانات المحدودة إلى الهيئات العلمية والمجامع اللغوية العربية.

1-2- المعجم المعقلن

صدر المعجم المعقلن لنظرية الكلام (Dictionnaire Raisonné De La théorie De langage) عام 1979 يتناول 645 مادة، وعن هذا المؤلف الضخم يقول ميشال أريفي:« تكون السيميائية قد انفردت بأداة عمل ... لا مثيل لها»،[33] والغريب أنه ترجم إلى عدة لغات: الإسبانية سنة 1982، الإنجليزية سنة 1983، البرتغالية 1983، ولم يترجم إلى العربية بعد. وفي البحث الرابع من كتاب رشيد بن مالك (من المجمعيات إلى السيميائيات)، مدخل إلى قراءة المعجم المعقلن لنظرية اللغة لغريماس وكورتيس. قدم النقاط المعلمية الكبرى للمعجم ثم منهجية إعداد المعجم وصفته واستعماله، ثم يقوم بدراسة عينات من المعجم مثل الكفاءة... ونأمل أن تكون ترجمة هذا القاموس المهم في متناول الطلبة والباحثين ويلقى الانتشار اللازم وخاصة ونحن في ظل الوسائط التكنولوجية.

2- الترجمة

يبدو تأخر ترجمة السيمياء في العالم العربي واضحا إلا أنه في المغرب العربي أفضل لأسباب تاريخية ولغوية وضرورات واقعية[34] والجدول التالي يبين ذلك:

المؤلف	العنوان	سنة الصدور	سنة الترجمة إلى العربية	الفرق بالسنة
أمبيرتو إيكو	القارئ في الحكاية	1979	1996	17
	السيميائية وفلسفة اللغة	1989	2005	16
	العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه	1973	2007	34
غريماس وجاك فونتي	سيميائية الأهواء	1991	2010	19
جوزيف كورتيس	مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية	1976	2007	31

يوري لوتمان	سيمائية الكون	1984	2011	27
غريماس وكورتيس	المعجم المعقلن لنظرية الكلام	1979	لم يترجم بعد	؟

ولو لم يتح للسيمياء بعض المهتمين لتأخر وصولها إلينا بكثير« إن ولادتها في البحوث العربية تمت عبر عملية " قيصرية " و في جو مشحون بالرفض في أغلب الأحيان والاتهامات المجانية لمن تبنوا هذا التيار... و حتى المؤسسة العلمية... لم تكن مهيأة لتلقي القيم الجديدة»[35] ذلك ما يذكره رشيد بن مالك الذي تلقى المعرفة السيميائية من روادها الفرنسيين« كنا نختلف إلى دروس (غريماس، كورتيس، جيرار جينيت، جان بيير، غولدا نيستاين، جوليا كريستيفا): معرفة تتحرك، تستفزك في العمق في خطاب علمي موجز ولكنه بليغ ... تعلمنا القليل وغاب عنا الكثير».[36]

ليكون مترجما بعد ما تلقى الرسالة في سياق اللغة الأم الفرنسية، يتحول إلى مرسل لتلك الرسالة إلى اللغة الثانية العربية أي من لغة المنبع إلى لغة الهدف العربية. فترجم للعديد من هؤلاء أمثال: غريماس، آن إينو، ميشال آريفي، جان كلود كوكي، جان كلود جيرو، جوزيف كورتيس. رواد مدرسة باريس في كتابه السيميائية: الأصول، القواعد والتاريخ. وتعد هذه الدراسة تأصيلا للسيميائية الفرنسية بأبعادها ومرجعياتها الثقافية وأصولها العلمية والمعرفية، ثم ترجمة الدراسة التي قام بها جان كلود كوكي (السيميائية مدرسة باريس) وهي في نظر المترجم رصد لأهم إنجازات السيميائية التي حققتها مدرسة باريس وذلك لعدة اعتبارات كما يراها:

- افتقار المكتبة العربية إلى المؤلفات المتضمنة الأصول العلمية التي مهدت لظهور السيميائية.
- إشكال ومشقة فهم المصطلحات والمفاهيم دون الرجوع إلى الخلفيات المعرفية.
- صعوبة فك الفوارق المنهجية والمفهومية والمصطلحية تلك الفوارق التي سوف تتعسر على القارئ العربي دون الرجوع إلى أصولها المنهجية.

يقول: «لهذا كله أقدمت على ترجمة هذا النص بعد أن عرضته على جان كلود كوكي في بداية التسعينيات بباريس قبل وفاة أ.ج. غريماس في فبراير 1992».[37]

ثانيا: التنظير والممارسة

يعد إسقاط المنهج السيميائي على نصوص عربية، الأولوية الثالثة بعد التأصيل المصطلحي و ترجمة النظريات والمفاهيم «مع مراعاة الخصوصيات المحلية في أثناء التطبيق على النصوص العربية»[38] وقد « نحى جانب السيميائية السردية التي أخلص لها في الجانب التطبيقي »[39]. فتناول:

أ- قراءة سيميائية في كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع:

عمد رشيد بن مالك إلى توضيح الآلية التي يتشكل بها الخطاب الحجاجي وبنية النص في استراتيجيتين:

1- استراتيجية التحريك/ الاستراتيجية الخطابية في النص.

«وإذا كان بيدبا قد فشل في تعبئة تلاميذه، فانه قرر مقابلة الملك»[40]، سالكا استراتيجية الحوار المعرفي[41]. بعد دراسة عدة خيارات أفضت به إلى الإستوزار[42] وحتى نفهم هذه الآلية- الخيارات- نقدم الخطاطة التالية:

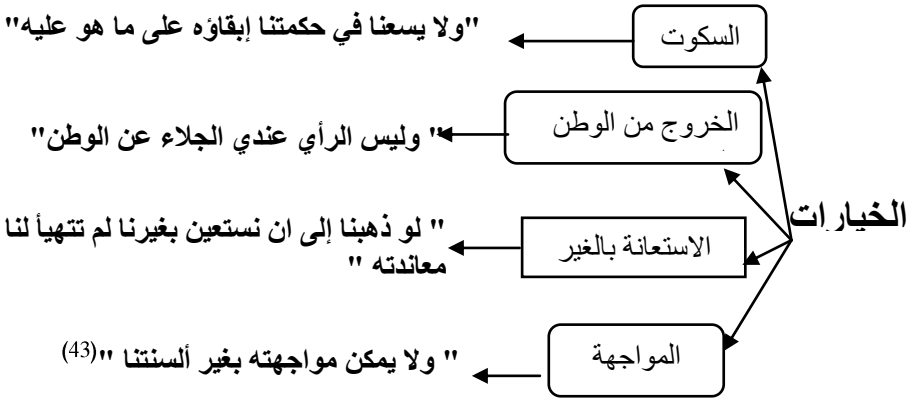

2- استراتيجية المواجهة/ البنية الجدلية في النص

تتبع الناقد على المستوى السردي الحوار بين بيدبا وديبشليم من الممارسة السياسية للملوك السابقين إلى الممارسة السياسية ديبشليم هذا الحوار المعرفي الذي أدى بالملك إلى تقديم تنازلات على مراحل.[44]

ب- دراسة تحليلية لرواية" نوار اللوز" للروائي واسني الأعرج

الافتتاحية والعنوان:

بدأ- الباحث- بالبحث في مستويات النص وأشكال بنيته فتصدر العنوان الرئيس " نوار اللوز" والعنوان الفرعي" تغريبه صالح الزوفري"، ثم فاتحة الكتاب(1) للروائي نفسه.[45] وفاتحة الكتاب(2) المؤرخ المقريزي.[46] « ولأن كانت الفاتحة مستقلة عن النص الروائي وأحداثه وشخوصه، فإنها ملحقة به زمنيا ومرتبطة به دلاليا».[47] ليخلص إلى أن «ما بين النص وخارج النص منطقة ليست منطقة اتصال فحسب بل منطقة تفاعل».[48] فهي «الوسيط الذي يسمح بالعبور من خارج النص إلى داخل النص ».[49]

البنية السردية وتجلياتها في رواية نوار اللوز

من خلال مدارسته للبناء الداخلي للنص، يكشف رشيد بن مالك العالم المضطرب والعالم المتوازن. " يلعبون بدمنا ويوزعونه على أغنياء البلد أوراقا وفيلات وكباريهات ومراقص "

" نحن ندفع الثمن من لحمنا، حتى البنزين هذه المرة أخذوه... ".

" دائما ضحاياها. وهم آخر من يمكن أن تلصق به التهمة "[50]

أوجه الصراع بن طرفين متضادين الفاعل صالح الذي يقوم بدور المهرب والفاعل المضاد الذي يؤدي دور الجمركي، ذلك ما يحدد رهانات الصراع في موضوع قيمي واحد هو الخبز" والله يا حمادة نريد الخبز فقط، حاجة خفيفة شوي كتان ..."،" لا شيء في هذا الحي غير البرد والجوع "[51]

وحتى يحدد الباحث البرنامج السردي لهذا الصراع لجأ إلى جدولة المقاطع السردية. متتبعا المسار السردي ودلالاته للفاعل وللفاعل المضاد[52]

- شخصيات الرواية/ تصنيفها وتأطير مكوناتها الشكلية والدلالية:

استقدم رشيد بن مالك مفهوم الشخصية في النص السردي ثم تصنيفا لشخصيات الرواية عقبه بتحليل مستوياتها والنظر في تجلياتها الدلالية، حيث" الوظيفة التي يحيل بها الدليل اللساني على موضوع العلم غير اللساني، سواء، كان واقعيا أو خياليا ". [53] ويسند إلى هذا التنظير ملخص نظام تسمية شخصيات رواية" نوار اللوز" في جدول مفصل

حسب انتمائها الطبقي أو المهني أو الاجتماعي. وخص الشخصية الرئيسة في ترسيمة تبين مغامرات صالح[54]، من الخطاب الروائي الذي يستخدم في الغالب« الكلام اليومي، الذي يعطي الشخصيات هويتها المميزة».[55] والذي يكشف تحولات الصراع:

- **الفئة المجاهدة:** '' أعرف أنك كنت مجاهدا فاضلا ''، '' نحب بلادنا لكنها ليست لنا ''. '' خرجناكم من الباب دخلتم من الطاقة''.[56]

- **الفئة الغنية المتواطئة:**'' الرعية تمشي باستقامة ''.'' وقد نسي مهمته ''، ''يلعبون بدمنا''.[57]

والرواية تعد من الروايات المغاربية التي تمثلت التراث الشعبي في سيرة بني هلال. ولإن كان رشيد بن مالك يشير إلى ذلك اشارة خفيفة لاعتباراته المنهجية فإن حسين لشكر يقول «لقد تجاوز الأعرج بنيات النص المرجعي وأسياقه الخطابية وشيد عالما روائيا يعارض السيرة الهلالية ويتجاوزها، نصيا في الآن ذاته».[58] وقد «تضمنت الرواية شواغل الراهن وأسئلته، في الجزائر ومرحلة السبعينات وما شهدته من أحداث متأزمة على جميع الأصعدة».[59]

ج- قراءة سيمائية في رواية ''عواصف جزيرة الطيور '' للروائي خلاص الجيلالي.[60]

1- رهانات الصراع في الرواية:

1-1- الأبعاد الدالة لتسيير العمل السياسي:

السلطة/ الشعب/ المثقف

1-2- التجليات الدلالية للخطاب التاريخي للنص الروائي.

رغم أن ''عواصف جزيرة الطيور'' رواية سياسية بامتياز التي تقتضي أحداثها التحليل السوسيونصية في فترة تاريخية تمتد من الغزو الفرنسي إلى غاية أحداث الجزائر 1988 إلا أن الناقد رشيد بن مالك يذهب منحى المنهج البنيوي النسقي عن قصد ودراية وتصريح؛ حيث يقول: «و دون أن نحاول إضفاء تأويلات قد لا يتحملها النص».[61] «فهو لا يتخذ الممارسة النقدية على أنها منبرا للدفاع عن قضية سياسية أو أيدولوجية»[62]

فيعمد بعد استقراء عدة مقطوعات سردية إلى ثلاثة مسارات:

1- مسار الشيخ الأكبر والنقابي بوجبل: كاشفا عن طبيعة ممارسات السلطة رئيس المشايخ.

تنمية الثروة، الإغراء، الإسكات، العنف، العنف المضاد الذي ينتهي إلى اغتيال النقابي.

2- مسار صراع المثقف

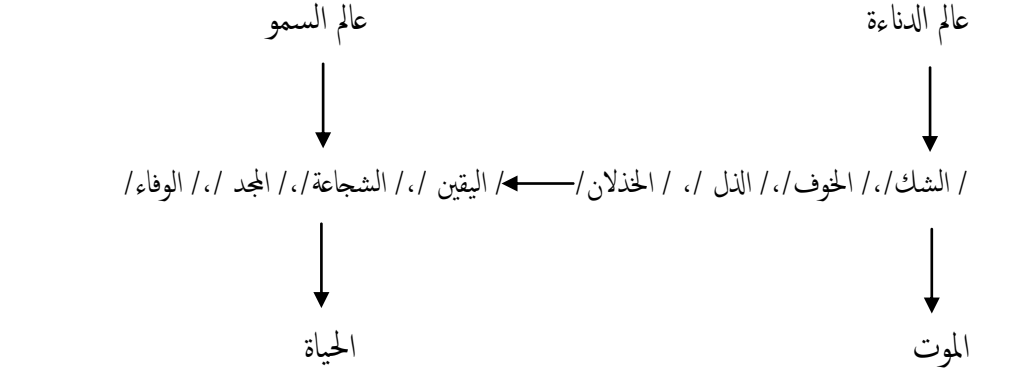

3- مسار الراوي على مستوى البنية السطحية

بدء بتلقي الملفوظ بالنص الافتتاحي للأمير عبد القادر والأيام العصيبة التي تبدأ أحداثها بمحاولة " شارل كان" احتلال جزيرة الطيور.

إضافة إلى ذلك تناول الناقد رشيد بن مالك وبنفس المنهج والخطوات الإجرائية تقريبا كلا من:

- رواية الصحن للروائية سميحة خريس.[63]
- قراءة سيميائية في قصة العروس للروائي غسان كنفاني.[64]
- تحليل سيميائي لقصة عائشة لأحمد رضا حوحو.[65]
- سيميائية الفضاء في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.[66]
- وللاطلاع أكثر على مجهودات الباحث، أنجزت الملصق العلمي(poster Scientifique)، في الملحق.[67]

والخلاصة: أن المجهودات الفردية للذين أفنوا شبابهم وأعمارهم في سبيل نقل المعرفة العلمية الغربية غير كافية لمواكبة تطورات عصر المعرفة- وإن اتسمت بالنضج-. ليبقى السؤال مطروحا إلى أي مدى يمكن تمثل النظريات العلمية؛ لتراث الماضي وثقافة الحاضر ورهان المستقبل؟.

ملحق:

الملصق العلمي (poster Scientifique)

الإحالات:

1- مأخوذ من الموقع www.moudir.com، في تاريخ 2015./07/13

2- سعيد بنكراد: السيميائيات السردية مدخل نظري، منشورات الزمن، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،2001، ص.22

3- سعيد بنكراد: المرجع نفسه، ص 73.

4- Lévi-Strauss (Claud) anthropologie structurale، deux، éd، Plon,1973، p15.

5 - سعيد بنكراد: المرجع السابق، ص31.

6 - فيليب هامون: سيمويولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، تق: عبد الفتاح كيليطو، دار كرم الله، القبة الجزائر، ص102.

7 - يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي، في ضوء المنهج البنيوي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط2، 1992، ص 86.

8 - ينظر: فيليب هامون، المرجع السابق، ص101 ،103، .108

9 - رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر ،2000، ص34.

10 - فيليب هامون: المرجع السابق، ص 60، 61.

11 - سعيد بوعيطة: المرجعية المعرفية للسيميائية السردية -جريماص نموذجا -، مجلة سيمات، ع1، ماي 2013، ص51

12 - ينظر: عبد المالك قجور، مبادئ في السيميائية، ط1، 2013، الجزائر، ص122.

13 - ينظر: عبد القادر شرشار، مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)، منشورات الدار الجزائرية، ط1، 2015، ص19.

14- ينظر : جان كلود كوكي، السيميائية مدرسة باريس، تر : رشيد بن مالك، تق، جان كلود كوكي، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص21.

15 - آراء عابد الجرماني: اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، منشورات ضفاف،

بيروت لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص104

16 - ينظر: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية قريماس (GREIMAS)، الدار العربية للكتاب، 1993، ص7، 8، 9، 10.

17- محمد الناصر العجيمي: المرجع السابق، ص.31

18- ينظر: سعيد بوعيطة، مرجع سبق ذكره، ص51، 52.

19- بوقرة نعمان: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006، ص128.

20- ينظر: عبد القادر شرشار، مرجع سبق ذكره، ص28، .34

21 - محمد ناصر العجيمي: مرجع سبق ذكره، ص31.

22 - البنية السطحية: تمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أما البنية العميقة تمثل التفسير الدلالي وأول من استعمل هذين المصطلحين هو تشارلز هوكيت (CHARLES HOCKETT) في كتابه محاضرات في اللسانيات الحديثة. ويشير أحمد مومن إلى ذلك في كتابه اللسانيات النشأة والتطور.

23 - عبد اللطيف محفوظ: البناء والدلالة في الرواية (مقارنة من منضور سيميائية السرد)، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص75.

24 - ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الإختلاف، ص 114، 115، 116.

25- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة 2000، ص199.

26 - عبد القادر شرشار: مرجع سبق ذكره، ص.43

27 - رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، مرجع سبق ذكره، ص 14، 15.

28 - آراء عابد الجرماني: اتجاهات النقد السيمائي للرواية العربية، مرجع سبق ذكره، ص326.

29 - ينظر: عبد القادر شرشار مدخل إلى السيميائيات السردية، مرجع سبق ذكره، ص.85،86

30- محمد فليح الجبوري: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات ضفاف، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص.190.

31- شرشار عبد القادر: قراءة لقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، محاضرات الملتقى الأول، السيميائي والنص الأدبي، 8/7 نوفمبر 2000، بسكرة، منشورات قسم الأدب، ص97.

32- رشيد بن مالك: من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص.14.

33- ينظر: آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، مرجع سيق ذكره، ص373، 374.

34- ينظر: آراء عابد الجرماني، إتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، مرجع سبق ذكره، ص.76.

35- جان كلود كوكي: السيميائية مدرسة باريس، مرجع سبق ذكره، ص.12.

36- آن إينو وآخرون: السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، مرجع سبق ذكره، ص17.

37- جان كلود كوكي: السيميائية مدرسة باريس، مرجع سبق ذكره، ص7.

38- رشيد بن مالك السيميائيات السردية، مرجع سبق ذكره، ص26.

39- محمد فليح الجبوري: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، مرجع سبق ذكره، ص.191.

40 - رشيد بن مالك: المرجع نفسه، ص.50.

41 - ينظر: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص65، 66.

42 - المرجع نفسه: ص 49-.68

43- المرجع نفسه: ص 11، 12، 14.

44- ينظر: المرجع نفسه، 50، 68.

45- واسيني الأعرج نوار اللوز دار الحداثة، ط1، 1983، ص5.

46- المرجع نفسه، ص6،5.

47- رشيد بن مالك: المرجع السابق، ص 72.

48- العربي الضاوي: النص الموازي، مجلة علامات، ع31، يناير 2009، المغرب، ص 10.
49- ينظر: حافظ المغربي، استدعاء الأسطورة في قصيدة، أبيس لحمزة شحاتة بين النص الموازي والتلقي، مجلة عالم الكتب، ع5 أبريل2007، السعودية، ص10.
50- واسيني الأعرج: المرجع نفسه، ص 18.
51- رشيد بن مالك: المرجع نفسه ص 90.
52- رشيد بن مالك: السيميائية السردية، ص 92-95.
53- رشيد بن مالك: مرجع سابق، ص140.
54- رشيد بن مالك: المرجع نفسه، ص 150.
55- الشريف حبيلة: الرواية والعنف، عالم الكتب، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 6.
56- ينظر: رشيد بن مالك، المرجع السابق، ص 121-125.
57- واسيني الأعرج: المرجع السابق، ص99، 109.
58- حسين لشكر: استلهام التراث السردي في الرواية المغاربية الجديدة، مجلة الراوي، ع25، سبتمبر2012، ص116.
59- بوشوشة بن جمعة: الرواية المغاربية المعاصرة وتوظيف التراث، مجلة كتابات معاصرة، ع29، بيروت،1996، ص105.
60- رشيد بن مالك: المرجع السابق، ص156.
61- المرجع نفسه، ص 155.
62- المرجع نفسه، ص164، 165.
63- رشيد بن مالك: من المعجميات إلى السيميائيات، مرجع سبق ذكره، ص.305
64- رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، مرجع سبق ذكره، ص.49
65- المرجع نفسه، ص.69
66- المرجع نفسه، ص97.
67- الملصق الأصلي أبعاده (1.18م/0.84 م). يمكن عرضه كملصق جداري.